الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع

أولا: إميل دوركايم، امتداد للوضعية وبداية للوظيفية.

أ- من كونت إلى دوركايم.

ب- مصادر النظرية السوسيولوجية عند دوركايم.

ب-1- الواقع الاجتماعي.

ب-2- النزعة الفردية.

ب-3- الفكر الاشتراكي.

ب-4- الفلسفة الوضعية وإطارها المحافظ.

ثانيا: بدايات ظهور الاتجاه الوظيفي في بعض العلوم الأخرى.

أ- في البيولوجيا

ب-في علم النفس.

ج- في الانثروبولوجيا.

ثالثا: التعريف بالاتجاه الوظيفي.

أ- معنى الوظيفية.

ب-الجذور التاريخية والفكرية للاتجاهخ الوظيفي.

جـ -أهم الاتجاهات الفرعية للوظيفية.

د- أهم المفاهيم المتداولة في الوظيفية.

هـ- أهم ممثلي الوظيفية.

هـ-1- روبرت ميرتون.

هـ-2- تالكوت بارسونز.

ثانيا: بدايات ظهور الإتجاه الوظيفي في بعض العلوم الاجتماعية:

من المعروف أن الإتجاه الوظيفي قد ظهر في بعض العلوم الاجتماعية قبل أن يظهر في علم الاجتماع، وتتمثل هذه العلوم في: البيولوجيا، علم النفس والإنثروبولوجيا؛ وسنتتبع ملامح الوظيفية فيها بإيجاز، معتمدين في الأساس على ما جاء به خضر زكريا في كتابه النظريات الاجتماعية المعاصرة.

فالبيولوجيا كعلم تدور حول الفكرة التي مؤداها أن كل عضو أو جزء من نسق للكائن العضوي، يؤدي وظيفة أو وظائف أساسية لبقاء هذا الكائن العضوي، كما يؤدي هذا العضو بدوره وظائف للنوع الذي ينتمي إليه، وهذا تأكيد لمبدأ تساند الأعضاء. وباختصار فإن الكائن العضوي –من وجهة النظر البيولوجية- يمثل نسقا يتألف من مكونات ترتبط فيما بينها إرتباطا وظيفيا.

وفيما يتعلق بعلم النفس، وفقد ظهرت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أدوات تحليلية مختلفة تسعى لوصف الأجزاء أو العناصر المكونة للعمليات العقلية مثل الإرادة، الإنفعال والإدراك. غير أن هذه الأدوات لم تتمكن في واقع الأمر من تحديد أو تعيين الحدة التي تربط هذه العناصر. ولتفادي هذه النقائص ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن بألمانيا مدرسة "الجاشطلت" التي تعتقد أن أي عنصر من عناصر العملية العقلية يجب أن يدرس من خلال السياق الكلي، وذلك لأن معنى كل عنصر يختلف اختلافا كبيرا عن معنى الشكل أو الكل الذي يعد العنصر جزء منه.

أما بالنسبة للأنثروبولوجيا الثقافية والاثنولوجيا، فقد ارتبطت بدايات الاتجاه الوظيفي بـ "فرانس بواس F.BOAS(1858-1942)، الذي ذهب في مقال له سنة 1887 الى القول بأننا "نستطيع أن نفهم فن شعب من الشعوب وأسلوبه المميز، فقط إذا ما درسنا النتاج المميز لهذا الفن وذلك الأسلوب".

والملاحظ أن الوظيفية في الأنثروبولوجيا قد نمت فيما بعد وتطورت لكي تواجه النزعتين التطورية والإنتشارية بل وتعارضهما. هاتين النزعتين اللتين تنهضان على الاتجاهات التاريخية تعارضهما الوظيفية، مثل هذه النزعات التي تحاول تفسير كل عنصر ثقافي إما بوضعه في أطار تطوري أو في سياق عملية تاريخية ملموسة تحدد الانتشار الثقافي. فهذه النزعة التطورية قد حللت إلى نظريات جديدة ساعدت على ظهور الوظيفية، أما النزعة الإنتشارية فتمثل وجهة نظر الإثنولوجيين التي تؤكد على انتشار الاختراعات من مراكز ثقافية محدودة العدد نسبيا، تلك المراكز التي تلعب دورا بارزا في النمو الثقافي، وتبدو معارضة الوظيفيين في اعتقادهم أن تفسير كل عنصر ثقافي يكمن فيما يؤديه من هذا العنصر للكل، وفي تسانده مع العناصر الأخرى التي تشكل الثقافة. ومن المؤكد أن الوظيفيين قد بالغوا في اعتقادهم بأن كل عنصر ثقافي هو وظيفي، أي أنه يساهم إيجابيا في الكل الثقافي، مغفلين بذلك العناصر غير الوظيفية، شأنهم في ذلك شأن الانثربولوجيين الثقافيين حينما ذهبوا إلى أن كل نسق اجتماعي ينطوي على تكامل تام متجاهلين أيضا كثيرا من مظاهر التفكك الاجتماعي. ويبقى أن ننوه في الأخير أن الدعائم النظرية للاتجاه الوظيفي قد تبلورت بشكل كبير في وقت لاحق من مساهمات علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الإنكليز، وبخاصة منهم مالينوفيسكي ورادكليف براون وإيفانز بريتشارد وغيرهم، حيث يذهب مالينوفسكي إلى أن الأنثربولوجيا الثقافية هي علم اجتماعي تعميمي (خضر زكريا، 1989، 64).

مما سبق يمكننا القول أن علم الاجتماع الوظيفي قد تأثر بالاتجاهات الوظيفية التي سادت بعض العلوم الأخرى كالبيولوجيا، علم النفس والأنثربولوجيا الثقافية، وذلك قبل أن ينمو ويتطور بشكل صريح وواضح على أيدي الرعيل الأول من علماء الاجتماع.

الجزء الثاني